التنغيم والإعراب
القيم التحويلية والمكوّن الدلالي

محمد جعفر
كلية الاداب-جامعة القادسية

خلاصة البحث

يحقق الكلام على الحركة الاعرابية بعدّها فضاءً تنغيميا فرصة لبعث آفاق الوصف وعناصر تشييد المعنى في السياق النحوي على نسق يحقق التوصيل والابلاغ مع رصد جانب التأثير والبلاغة في الظاهرة الكلامية ، وهذا ما دعا الى النظر الى حركة الاعراب والتنوع التنغيمي من زاوية واحدة تقدمهما معا وقد تمثلا مكوّنا دلاليا تحويليا يصوغ المعنى تبعا لتحولات السياق. وجد البحث في تطبيقات انماط المنصوب للدلالة على الاغراء، والتحذير، والاختصاص ما يمكن أن تكون فيه حركة الاعراب والنهايات التنغيمية للجمل بنية دلالية واحدة يوظفها المتكلم وصولا الى اضافة على المعنى.

في النظرية النحوية والدلالة

اذا كانت نغمة الاحساس **Feeling Tone** [1] مما يعايش دلالة الألفاظ والربط الذهني بين عناصر الدلالة على المعنى في النظرية اللغوية الحديثة فإنّ معنى الانفعال Affective Meaning [2] يجسد نوع العلاقة بين مكونات الجمل وتحولاتها عبر سياق النص من معنى الى معنى جديد اعتمادا على مجموعة النغمات بانماطها المختلفة ، بما يمثلانه من فونيمات تصاحب الكلام فتتحول به بين المعاني بحسب ظروف السياق ، ومن ثم تجمع ذلك كله في اجواء مكوّن دلالي واحد.

المكوّن الدلالي من المكونات التركيبية في بنية النظرية الدلالية في التحليل يكون في نهاية الوصف الوظيفي للغة ويصاحبه موقف من التركيب الدلالي يقوم على أسس التمثل والتركيب العميق الذي يربط بين التمثل الدلالي وحدود السطح بما يقدمه من تخصيص مقولي يحتوي على المشيرات الدلالية [3] التي تتجسد فيها الظاهرة النحوية وقد تمتعت بصور الايحاء والتأويل وادهاش المعنى.

التنغيم

ليس يبتعد التنغيم Intonation عن أنّه نبر سياقي ذو أثر دلالي بيّن بحسب تحولات البنية الكلامية، بمعنى أنّه ضغط على الكلمات في سياق الجملة به تختلف الاغراض المفهومة من الجمل فتنتقل من الاخبار الى الاستفهام، او التعجب، او النفي[4]؛ وذلك من خلال تتابع نغمات التشكيل الكلامي[5] وتنوع الدرجات

---

[1] ينظر . مناهج البحث في اللغة ، د. تمام حسان ٢٢٦-٢٢٧.

[2] ينظر . في نحو اللغة وتراكيبها ، د. خليل احمد عمايرة ١٦٣.

[3] ينظر . مباحث في النظرية الالسنية وتعليم اللغة ، د. ميشال زكريا ١٣١-١٣٢.

[4] ينظر . التفسير الصوتي لقراءات سورة (عبس) على ضوء النبر والتنغيم ، د. محمد جعفر ، اسعد جواد ، مجلة القادسية ، م٢، ع٣،ص ١٨٧-١٨٨.

[5] ينظر . اسس علم اللغة ، ماريو باي ٩٣.

الصوتية[١] والانماط التنغيمية من نغمة هابطة، ونغمة مستوية ، ونغمة صاعدة ، فتكون النغمة الهابطة ممثلا صوتيا لجمل التفجع والندبة، على حين تكون النغمة المستوية مما تعرف به الجمل ذات الاسلوب الخبري، اما الجمل الاستفهامية والطلبية فتكون ذات بنية او ظهور صوتي صاعد[٢]. وليس يبتعد عن الحقيقة أنَّ اكبر ما في التنغيم أنَّه عنصر من عناصر التحويل والتنقل بين المعاني، وكما يظهر خلال البحث.

الاعراب

ارتبط الكلام على الاعراب في تعارف النحويين بالعوامل وما ينتج عنها من آثار لفظية ، فصار الاعراب اثرا لهذه العوامل[٣] عندهم.

وعلى الرغم من أنَّ ثمة نظرة مغايرة للاعراب اعتمدت الحالة الصوتية في تفسير ما يطرأ على أواخر الكلام من حركات تتغير، اذ صير الى أنَّ هذه الحركات انما جيء بها لتحقيق ارتباط الألفاظ ودرج الكلام[٤]، الا أنَّ هذه النظرة صارت ابعد ما يكون عن القيمة الدلالية لهذه الوحدات الصوتية. نعم تمكنت النظرة الصوتية من الخلاص من سلطة العامل وآثاره السلبية في فهم الكلام واقامة المعنى على نحو يتساوق مع الوصف وارادة المتكلم في توصيل المعاني مع لحاظ التأثير .

وتبقى قيمة النظرة الصوتية الى صوائت الاعراب أنَّها صوتت الاعراب، وربما فتحت الكلام على القيمة الصوتية ودعت الى التفكير فيها. ويظل القول ((انَّ الحركة الاعرابية شأنها شأن أي فونيم في الكلمة له قيمة واثر في الافصاح والابانة عما في النفس من معنى فيكون تغيرها محققا لما في نفس المتكلم من معنى يريد الابانة والافصاح عنه))[٥].

وتتصاعد قيمة المكوَّن الاعرابي الدلالية عند النظر اليه أنَّه عنصر من عناصر التحويل وارادة المعاني وتناسي أن يكون هذا المكوَّن اثرا لعامل ما[٦].

الفوائد التحويلية وآفاق المعنى

ضجَّ النظر النحوي التراثي بالعامل[٧]، فانتهى البناء النحوي اليه ، فكان ما كان من مبالغة و(تضحية) بآفاق الوصف وعناصر تشييد المعنى على نحو يحقق التوصيل والابلاغ مع رصد جانب التأثير والبلاغة[٨] في بنية الكلام.

يعطي النظر التحويلي Trans Formational Rules التحليل الجملي للكلام آثارا ايجابية، وهذا ما نجده في تحليل العبارة النحوية للكلام العربي تحليلا تحويليا[٩]، تبتعد بنا عما لحق العمل النحوي من (جمود)، وذلك من خلال معالجة الجانب الدلالي للتركيب اللغوي.

---

[١] ينظر . الصوتيات ، برتيل مالبرج ١٥١.

[٢] ينظر . في البحث الصوتي عند العرب ، د. خليل ابراهيم العطية ٦٣.

[٣] ينظر . الخصائص ، ابن جني ١/ ٣٧.

[٤] ينظر . من اسرار اللغة ، د. ابراهيم انيس ١٦٨-٢١٥، فقه اللغة المقارن ، د. ابراهيم السامرائي ١٢١.

[٥] في نحو اللغة وتراكيبها ، د. خليل احمد عمايرة ١٥٧.

[٦] ينظر . نفسه ١٥٩.

[٧] للوقوف على آثار العامل في النظرية النحوية العربية يراجع : منهج النحو العربي مذاهبه وتيسيره ، د. مجهد حيجان الدليمي ، وآخرون ٢١٧-٢٢٣.

[٨] ينظر . احياء النحو ، ابراهيم مصطفى ٣٧-٣٨، البحث النحوي عند الاصوليين ، د. مصطفى جمال الدين ١٣.

[٩] ينظر . مناهج البحث اللغوي بين التراث والمعاصرة ، د. نعمة رحيم العزاوي ٢٠٣.

وتدرَّجت طرائق تحليل الجملة في موقفها من المعنى، اذ تكلم تشومسكي Chomcky على ثلاث طرائق[١]: اولها طريقة التلازم والاقتضاء Rfinitel Grammar . وتتلخص في اقتضاء المورفيم التحويلي مورفيما آخر يلازمه ؛ فيراعى هذا التلازم عند التحليل.

وبسبب من قصور هذه الطريقة جاء تشومسكي بطريقة تحليل الجملة الى عناصرها المكونة الرئيسة Constituent Immediate فعمد الى تحليل الجملة الى مكوناتها المورفية. ولمَّا كانت هنالك جمل تتداخل وتلتبس لا يمكن للتحليل المورفي أن يقدم حلا مرضيا لها انتقل تشومسكي الى الطريقة التوليدية التحويلية Trans Formational Generative grammar التي طورها الى الحد الذي صارت معه مستوعبة المعنى الدلالي في خطوات التحليل.

واستيعاب المعنى الدلالي دعا الى ربط التحليل بالمسافة النفسية بين متكلمي اللغة[٢] من جهة والحدس Intuition او المعنى الذهني عند المتكلم[٣] من جهة ثانية، مع لحاظ أنَّ ((الفكرة الذهنية الداخلية، وهي العنصر الرئيس في ذهن المتكلم ترتبط بالعناصر والمكونات الرئيسة التي من بينها المعنى الدلالي والمعجمي، وتترابط هذه بوساطة عنصر من عناصر المكوَّن التحويلي لتخرج جملة منطوقة باصوات ورموز لغوية))[٤].

إنَّ المكوَّن التركيبي ، بالرجوع الى البنية العميقة Deep Structure ومظاهر الاستبدال، ينتهي الى المكوَّن التحويلي الذي يقود الى مكوَّن يتمثَّل دلاليا؛ فيكون بلوغ حقيقة المكوَّن التفسيري وعلاقات الجمل ببعضها وعدولها عن طبيعتها المنطقية[٥] الى تراكيب (سياسات) كلامية تأثيرية تعتمد النهوض بخاصة المعنى تساوقا مع خاصة الموقف وفاعلية الحدث مؤطرا بسياق الحالة.

يصدر التحليل التحويلي للبناء النحوي من أنَّه ما من جملة الا ويمكن تحويلها الى جمل متعددة من طريق توظيف واحد من عناصر التحويل؛ فنكون بازاء جملة توليدية وجمل توليدية تنتج عنها. وتتمثَّل عناصر التحويل بالترتيب، والزيادة، والحذف، والحركة الاعرابية، والتنغيم ... وما يعنينا في هذا البحث الحركة الاعرابية والتنغيم، اذ إنهما يتمازجان فينتج مكوَّن دلالي واحد ، فتكون الحركة الاعرابية امكانية تنغيمية تتولى وظيفة التحويل مرة ووظيفة الدلالة مرة ثانية ؛ فينتهي الامر الى ظهور الاعراب والتنغيم مكوَّنا صوتيا دلاليا من خلال كونه مركبا تحويليا يتحول بالجملة من غرض الى غرض آخر ، وهذا ما يظهر في المنصوب بعامل محذوف عند النحاة كالاغراء، والتحذير ، والاختصاص...

ذهب النحويون الى أنَّ الاسم المنصوب الدال على الاغراء ، او التحذير، او الاختصاص منصوب بفعل محذوف وجوبا تقديره (الزم/ احذر/ اخصّ)[٦] وكان ذلك لتبرير الفتحة هنا[٧]. ومهما يكن تفسير فتحة الاعراب هل هي حركة القصد[٨]، او حركة الخفة[١] ؟ فإنني واجد فيها – وبخاصة في الانماط النحوية التي

---

[١] نُقل الكلام على طرائق تشومسكي في التحليل النحوي / ملخصا وبتصرف ، عن : في نحو اللغة وتراكيبها ٦١-٦٥. ويقارن بما في : اللغة والعقل ، تشومسكي ٤٢-٦٦.

[٢] ينظر . اللغة والعقل ٨٧ ، ١٠٥.

[٣] ينظر . في نحو اللغة وتراكيبها٥٤-٦٠.

[٤] نفسه ٦٥.

[٥] ينظر . مباحث في النظرية الالسنية وتعليم اللغة ١٣١.

[٦] ينظر . معاني النحو ، د. فاضل صالح السامرائي ٢/ ٥٢٩ ، ٥٣٩ ، ٥٤٤.

[٧] ينظر . في نحو اللغة وتراكيبها ١٦٢.

[٨] ينظر . نفسه ١٦٥.

ينصب فيها الاسم من دون ظهور ما يبرر نصبه لفظيا في تعارف لنحاة – من الوصف ما يتطابق مع التنغيم، ولا سيما عندما يكون تنغيما صاعدا.

وما بدا أنَّ الفتحة في هذه الدوال (المنصوبات) ليست اثرا لعامل لفظي قد حُذف إنما هي فونيم في العبارة النحوية لتحويلها من معنى الى معنى جديد. فإنَّ قولنا : [٢]

النارَ

يمثِّل جملة تحويلية تحولت من الجملة التوليدية الاصل التي هي :

هذه النارُ

فتحولت هذه الجملة بحذف: (**هذه**) والاكتفاء بالسياق الاجتماعي للدلالة على الاشارة والاخبار: **النارَ**. ولما احتاج المتكلم نقل معنى آخر يغاير الاخبار في الجملة التوليدية الاصل، والاخبار في الجملة التحويلية الاولى التي اعتمدت عنصر الحذف والسياق احتاج عنصرا تحويليا جديدا فلم يجده بين عناصر التركيب في غير فونيم الاعراب فاستبدل بالضمة الفتحة لينقل معنى الجملة من الاخبار الى التحذير ؛ فجاءت جملة :

النارَ

لتكون جملة تحويلية اسمية سالة على التحذير، اعتمد المتكلم في تصوير هذا المعنى فونيم الفتحة الذي جاء ممثلا للتنغيم الصوتي الصاعد؛ فكان صائت الاعراب فونيما تنغيميا يدل على التحذير بنغمته الصاعدة التي يجسدها فونيم الفتحة هنا. وفي الفونيم الصاعد تدريجيا ما يتناسب دلاليا مع ارادة المحذِّر أن يقف المحذَّر فلا يصل أثر النار، وهذا ما ينسجم مع التصويت بصائت الفتحة ولاسيما مع الوقف. فكأنَّ المتكلم لما رأى النار وخطر اقتراب الشخص اليها انتخب ما يحقق وقوفه دونها فوجد الفتحة افضل ما ينتخب في هذا السياق. وبعد، فلربما يُحسّ في فونيم الفتحة هاجس الخوف والرهبة ولا سيما الصوت النفَسي الذي يمتزج بها لينقل حالة الشعور بالخوف كي تأخذ فعلها التحذيري الاقوى.

اما قولنا في الاغراء :

الوردةَ

فهي جملة تحويلية اسمية دالة على التحذير مرت بمراحل التحويل نفسها التي وقفنا عليها في جملة التحذير. وقد تجسد معنى الاغراء من خلال تنغيم الفتحة الصاعدة .

وهذه المقاربة الصوتية الدلالية لمصوت اعراب المنصوب على الاغراء، او التحذير تتوافق مع التوجيه النغمي لجملتي التحذير او الاغراء الطلبيتين؛ ذلك بأنَّ :

احذر النار ، او الزم الوردة

تُنطق بنغمة صوتية مستوية. اما :

النارَ ، او الوردةَ

فإنَّها تكون مصحوبة بنغمة صوتية صاعدة ، وكأنَّ التحذير او الاغراء الطلبيين قد تقاسم الدلالة عليهما الفعل (احذر ، الزم) والصائت الاعرابي ، ولكن عندما اقتصرت الدلالة عليهما على الفتحة تصاعد

---

[١] ينظر . احياء النحو ٣٧-٣٨.

[٢] المُثل وطريقة التحليل منقولة بتصرف عن : في نحو اللغة وتراكيبها ١٦١-١٦٥.

التنغيم ليوازي الحالة الكبرى للتحذير او الاغراء وما يصاحبهما من القلق والخوف (في سياق التحذير) ، او الغضب المحفوف بالتفاؤل (في سياق الاغراء).

اما الاختصاص كقولنا :

نحن العربَ نُحبُّ الفضيلةَ

فما هذه الجملة الا تحويل لجملة :

نحن العربُ نُحبُّ الفضيلةَ

التي تدل على الاخبار ، وهي بنغمة صوتية مستوية. اما اذا كان غرض المتكلم الفخر واظهار العظمة فإنَّه يتحول بصائت الضم الذي يحقق الاسناد بين الضمير والاسم، يتحول به الى صائت الفتح ليصبح مركز الفخر وبؤرته. ويصاحب ذلك استبدال النغمة الصاعدة بالنغمة المستوية؛ لتتناسب مع ارادة معنى الاهتمام وتركيز الاحساس بالفخر والاعتزاز.

وما كان خلال التوكيد الاخباري او التحويل الى التحذير ، والاغراء، والاختصاص أن اجتمع فونيم الفتحة قيمة تحويلية ومكوِّنا دلاليا يذوب في نغم صوتي صاعد يشتمل على معنى التحذير، والاغراء، والاختصاص مما يكون قريبا الى حركة الصعود والعلو في واقع الحدث، حيث القلق والاضطراب عند التحذير، والتفاؤل عند الاغراء . وغير بعيد ما يكون عند الاختصاص من فخر وكثير من الاعتزاز والشموخ.

المصادر والمراجع

- احياء النحو، ابراهيم مصطفى، القاهرة ، ١٩٥١.
- اسس علم اللغة، ماريو باي ، ترجمة: د. احمد مختار عمر، عالم الكتب ، القاهرة .
- البحث النحوي عند الاصوليين، د. مصطفى جمال الدين، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ١٩٨٠.
- التفسير الصوتي لقراءات سورة (عبس) على ضوء النبر والتنغيم، د. محمد جعفر، اسعد جواد، مجلة القادسية، م٢، ع٣، جامعة القادسية ، ٢٠٠١.
- الخصائص، ابن جني، تحقيق: محمد علي النجار، ط٤، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد ، ١٩٨٦.
- الصوتيات، برتيل مالبرج، ترجمة: د. عبد الصبور شاهين ، مكتبة الشباب ، القاهرة.
- فقه اللغة المقارن، د. ابراهيم السامرائي، ط١ ، بيروت ١٩٦٨.
- في البحث الصوتي عند العرب، د. خليل ابراهيم العطية، الموسوعة الصغيرة، بغداد ، ١٩٨٣.
- في نحو اللغة وتراكيبها – منهج وتطبيق، د. خليل احمد عمايرة، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، ط١، جدة، السعودية.
- اللغة والعقل ، تشومسكي ، ترجمة : بيداء علي ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ١٩٩٦.
- مباحث في النظرية الالسنية وتعليم اللغة، د. ميشال زكريا، الدار الجامعية للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت.
- معاني النحو، د. فاضل صالح السامرائي، مطبعة التعليم العالي، بغداد ، ١٩٨٩.
- مناهج البحث في اللغة، د. تمام حسان، ط٢، دار الثقافة، الدار البيضاء، ١٩٧٤.
- مناهج البحث اللغوي بين التراث والمعاصرة، د. نعمة رحيم العزاوي ، منشورات المجمع العلمي العراقي، بغداد، ٢٠٠١.
- من اسرار اللغة ، د. ابراهيم انيس ، ط٣ ، القاهرة ، ١٩٦٦.
- النحو العربي مذاهبه وتيسيره ، د. مجهد جيجان الدليمي ، وآخرون ، دار الحكمة للطباعة والنشر ، بغداد.